جامعة سوهاج

كلية التربية

المجلة التربوية

رؤية نقدية لبرنامج تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المصرية

إعداد

أ.د/ محمد سعيد أحمد أحمد زيدان

أستاذ المناهج وطرق تدريس الفلسفة

كلية التربية – جامعة حلوان

تاريخ الاستلام : ١ يناير ٢٠٢١م – تاريخ القبول : ١٢ يناير ٢٠٢١م

DOI: 10.12816/EDUSOHAG.2021. 182793

الملخص:

تقدم الورقة رؤية نقدية لبرنامج تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المصرية.

هذه الورقة تطرح من الأسئلة أكثر مما تقدم من الإجابات.. من أهم هذه الأسئلة: أين ثقافة التعلم الذاتي؟!.. سؤال يبحث عن إجابة..!!

Critical vision for teaching staff abilities development program in Egyptian universities

Dr. Mohammed saed Ahmed Ahmed Zedan
professor of curricula and philosophy Tcaching methods,
faculty of Education Helwan university.

ABSTRACT:

This paper presents Critical vision for teaching staff abilities development program in Egyptian universities.

This paper provides questions more than answers .., one of these questions: where,s Self- Learning Culture?.. question for answer…!!

ليس هناك شك في أن "أي أمة تريد أن تتقدم وترتقي في سلم التحضر لابد لها من تشجيع التفكير النقدي على جميع المستويات؛ فإن ذلك من شأنه أن يحرك المياه الراكدة ويوقظ العقول التي تم تخديرها بشكل أو بآخر، فأصبحت عاجزة عن التفكير بصفة عامة، والتفكير النقدي بصفة خاصة. وبممارسة التفكير النقدي نستطيع أن نغير ثقافة المجتمع ونبعث فيه الحيوية والطموح والانطلاق إلى آفاق التقدم، وهذا ما تحتاجه أمتنا، وما تمليه علينا مسئولينا"(١).

"ولا شك أن مثل هذه الرؤية النقدية تتطلب قدرًا من الشجاعة؛ فلم نتعود في بلادنا على ثقافة النقد الذاتي والاعتراف بالخطأ توطئة لإصلاحه.. على الرغم من أن الجميع يحفظ عن ظهر قلب مقولة: إن الاعتراف بالحق فضيلة"(٢).

"ومن هذا المنطلق أقول: إن العقلية العربية لا تقبل النقد اعتقادًا منها بأن (النَاقِدَ المَادِحَ مأجُور.. والنَاقِد القَادِح مَسْعُور)"(٣).. وهنا أتساءل: ما هي الضمانات الواقية لحماية الكلمة النقدية من أصحاب مهنة النقد ذاتها؟

عمومًا.. تستند الرؤية النقدية لبرنامج تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المصرية إلى عدد من المسلمات يمكن إيجازها فيما يلي:

١– لا أحد فوق النقد.. ولا أحد معصومًا من الخطأ.

٢– الرؤية النقدية ليست جلدًا للذات، وإنما تصحيح وإصلاح.

٣– برنامج تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس الثري يستدعي ويتطلب رؤية نقدية؛ لاستنطاق خباياه وكنوزه.

إن علاقة الرؤية النقدية ببرنامج تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المصرية – كما أراها – "هي كعلاقة البستاني بأشجار الورد: يُبعد عنها ما ليس منها، وينقِّيها من الأوشاب، ويعالج ما في بعضها من علل، ويبرز جمالها وفتنتها؛ فإذا هي مرأى يسر الناظرين"(٤).

إننا مطالبون الآن بمراجعة هذا البرنامج من خلال رؤية نقدية.. وإلا فإن العالم سوف يظل يتقدم بخطى واسعة، بينما نتخلف نحن بنفس المقدار.

وعليه؛ فإن وظيفة هذه الورقة أنها تُقَدِّم توصيفًا للواقع، وليس تبنيًا له.. فالبرنامج إذا أصاب أشدنا، وإذا أخطأ أشرنا.. والكل له الحق في النقد والتعبير ولكن بشرط، انقد ولا تجرح.. اكشف ولا تفضح.

"وطبيعي أن أي إصلاح تربوي ينبغي أن يبدأ بمحاولة لرصد الواقع تعرفًا على إمكاناته ونواص قصوره، والأخطاء ليست عيبًا، وما هي بسبَّة، إن الأخطاء في ذاتها منهج في التعليم لترقية التعلم وتحسين المستقبل"(٥).

ومن هنا تأتي ضرورة الرؤية النقدية لهذا البرنامج، وطرح التساؤلات حول منطلقاته وأسسه الفكرية. ولتكن البداية رصدًا لهذا البرنامج من خلال التالي:

إذا تأملنا مصطلح "تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس" نجد أنه واحد من أكثر الألفاظ شيوعًا في حياتنا الجامعية في الوقت الراهن، إذ يتردد بصفة يومية على لسان كبار المسئولين، ولا تكاد تخلو منه الصحف اليومية.. فضلاً عن كونه موضوعًا رئيسيًا في حوارات أعضاء هيئة التدريس، باعتباره شرطًا من شروط التقدم لوظيفة أستاذ أو أستاذ مساعد.

وأعضاء هيئة التدريس فريقان: ما بين مؤيد ومعارض لمشروع التدريب، ولكل فريق أنصاره ولكل منهما مرجحات.

وقبل أن تتسارع الخطى في هذا الاتجاه وقبل أن يرفع شعار "التدريب أولاً"؛ فإنني أدعو إلى التفكير في الموضوع على نحو مختلف.. في ضوء الحقائق التالية:

أولاً: يلاحظ أن كثيرين ينظرون إلى المصطلحين "تدريب" و"تنمية" على أنهما متطابقان وهما في الواقع ليسا كذلك، فالفرد قد ينمو دون أن يتعرض للتدريب.. وليس بين التدريب والتنمية علاقة سببية، ولكنها علاقة اقتران، يحدث فيها أحيانًا أن يكون التدريب ميسرًا للتنمية، وقد يكون التدريب عائقًا للتنمية في أحيان أخرى.

ومن هنا؛ فإن أخشى ما أخشاه، المبالغة في التعلق بالتدريب، إلى حد اعتبار أن "التدريب هو الحل"، وأنه وحده دليل التقدم العلمي وجواز المرور إلى العصر، الأمر الذي يستغرق جهد الجامعات إلى درجة قد تصرفها عن أولويات أخرى أكثر إلحاحًا وأهمية.

ثانيًا: إن هناك خلطًا واضحًا بين التدريب والمحاضرات، وليس كل محاضر يصلح أن يكون مدربًا!!.. وجدير بالذكر القول: إن لدينا وفرة هائلة في المحاضرين وندرة في

المدربين.. ونتساءل: عمن يقومون الآن بتدريب أعضاء هيئة التدريس، هل لديهم مؤهلات لذلك؟ أم أن اختيارهم يتم بالأقدمية؟!!

ثالثًا: أهم القدرات المتخصصة التي حددها علم النفس الحديث: القدرات اللغوية، والقدرات الرياضية، والقدرات الحركية، والقدرات الميكانيكية، والقدرة الكتابية، والقدرات الموسيقية، والقدرات الفنية، والقدرات الإبداعية.

والسؤال: هل كل هذه القدرات موجودة لدى كل عضو من أعضاء هيئة التدريس؟ وما جدوى الدورات التدريبية العامة وغير التخصصية بموضوعاتها التقليدية؟!

رابعًا: عندما يقوم عضو هيئة التدريس بدراسة علمية جادة، فالحقيقة أنه يتعرض لدورة كاملة من التنمية.. كل ما ينقصه فيها مكتبات – يمكنه الرجوع إليها لمطالعة آخر ما يستجد في مجال تخصصه الدقيق – ومعامل حديثة.. والسؤال: أليس من الأفضل توجيه المبالغ الباهظة التي تنفق على برامج التدريب لدعم المعامل بالأجهزة الحديثة والمكتبات للحصول على أحدث الكتب والدوريات العالمية؟!

خامسًا: إن عضو هيئة التدريس الذي لا ينمي نفسه بنفسه، للارتقاء بمستواه العلمي.. لا يستحق أن يكون كذلك.. أليس هناك فرق بين الإلزام والالتزام؟!!

وهنا أسأل سؤالاً – يُعد سؤال الأسئلة وهو في منتهى الوضوح، عن أي عضو هيئة تدريس جامعي نبحث؟ هل نريد عضوًا مشاركًا مبدعًا مبتكرًا يعيش العصر ويتوحد مع الزمن ومعطياته؟ أم نريد عضوًا متلقيًا مغتربًا عن العصر ذا عقلية مهيأة لمجافاة الزمن ومناصبته العداء؟!.. أين ثقافة التعلم الذاتي؟.. سؤال يبحث عن إجابة...!![٦]

وهكذا يبدو واضحًا أن الرؤية النقدية – السابقة – لم تكن نقدًا لأحد، ولم تكن هجومًا عليه، وإنما كانت نقدًا موضوعيًا لبرنامج تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المصرية؛ ذلك أن بقاءه على ما هو عليه سيبقى حجر عثرة وحائل عظيم في سبيل تحقيق الطفرة العلمية والبحثية التي ننشدها.. وهنا نتساءل: هل استفاد أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المصرية من هذا البرنامج؟!.. وبكلام آخر: ما مردود هذا البرنامج على واقع تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المصرية؟!

وإذ نقدم هذه الرؤية النقدية لبرنامج تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المصرية، نأمل أن تكون فاتحة حوار حول تطويره لا خاتمة فكر.. وهنا يكون السؤال الأكثر

تحديدًا: لماذا لا يتم تطوير هذا البرنامج لتحقيق أهدافه بدلاً من أن يصبح مجرد جهودًا مهدرة؟!

وتبقى لي بعد ذلك كلمة أخيرة: هذه رؤية نقدية لبرنامج تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس في الجامعات المصرية، أطرحها في شفافية كاملة وموضوعية مخلصة؛ من أجل دعوة عاجلة لتصحيح الأوضاع.. فهل من مجيب؟

وفي الختام خير الكلام سائلاً من لا يغفل ولا ينام {رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} (البقرة: ٢٨٦).. صدق الله العظيم.

المراجع

(١) محمود حمدي زقزوق: التفكير النقدي والتطور الحضاري. جريدة الأهرام. (العدد ٤٤١١٠ في ١٣ من سبتمبر ٢٠٠٧م)، ص١١.

(٢) محمد سعيد أحمد زيدان: تقويم التفلسف. (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، ص١٥٩.

(٣) ــــــــــــــــــ: القيم الفلسفية في الأمثال الشعبية.. تقديم كمال نجيب الجندي. (القاهرة: سفير للإعلام والنشر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، ص٦٩.

(٤) وهب رومية: الشعر والناقد.. من التشكيل إلى الرؤيا. (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: عالم المعرفة، العدد ٣٣١، سبتمبر ٢٠٠٦م)، ص١٣.

(٥) محمد سعيد أحمد زيدان: تعليم التفلسف.. دراسات نظرية ونماذج تطبيقية. تقديم سعيد إسماعيل علي. (القاهرة: سفير للإعلام والنشر، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، ص٢٤.

(٦) ــــــــــــــــــ: سؤال الأسئلة!.. جريدة الأهرام (بريد الأهرام في ٢٧ من أغسطس ٢٠٠٥م)، ص١١.